كيف تعرف ما الذي يجري حقاً

فرانسيس ماكّي

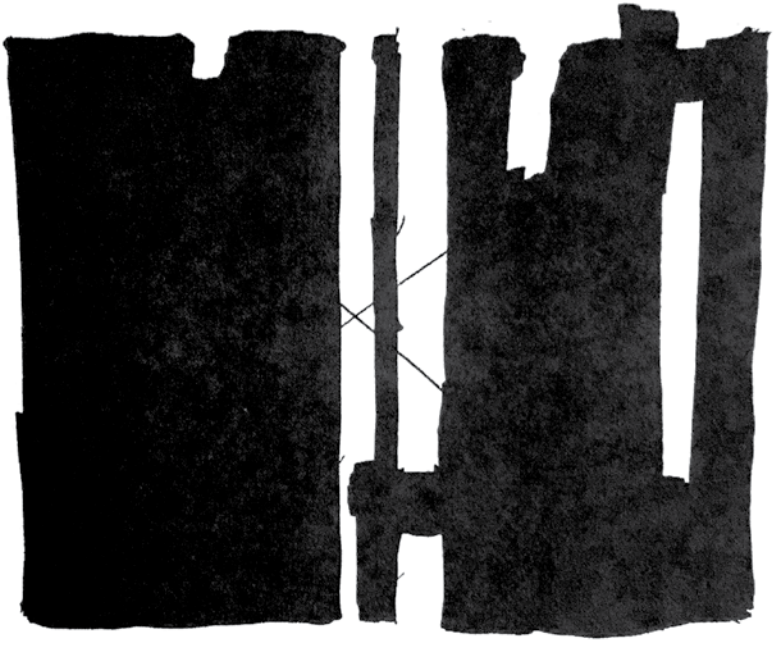

مقدمة

يدور هذا الكتاب حول شيء نريده جميعاً. تحتدم الأوضاع من حولنا، ونتساءل إن كانت الأخبار التي ترد إلينا موثوقة. الملاحَقون إرهابيون، أما المستهدفون فأبرياء. كانت صدفة أن واحداً ممن ماتوا قد احتج سابقاً ضد الفساد. في الوقت نفسه، يعلن قادة الحكومات عن إجراءات أمنية جديدة. وفي أخبار أخرى، نسمع عن صفقة تجارية كبيرة توقع عليها إحدى الدول العُظمى.

في الشقة الثالثة من الطابق السفلي، غالباً ما تُسمَع آهات مكتومة. ويبدو أن الأثاث يتم تحريكه بشكل مستمر. نادراً ما نرى الحبيبين اللذين يعيشان في الشقة مع بعضهما، لكن كلاهما هادئ ولا يستدرج أية محادثة.

إذن، كيف يمكنك أن تعرف ما الذي يجري حقاً؟

هناك حل تقليدي: للحالات الشخصية، محقق سري خاص. أما إذا كنا نتحدث عن دولة، فوكالة مخابرات. غالباً ما يكون الجواسيس فعالين جداً، إلّا أن تكلفتهم باهظة، وطبعاً، من الصعب الوثوق بهم. قد تكون التكنولوجيا أكثر موثوقية إذ يمكن لكل نقرة على لوحة المفاتيح من قِبل هدفك المقصود، أن تُسجَّل وتُرسَل عبر جميع أنحاء العالم إلى قاعدة بيانات حكومية.

إن كنت مواطناً يقلقه هذا السيناريو، ويتساءل عما يحدث، فلا يزال هناك أشخاص مثل إدوارد سنوودن على استعداد لكشف حقيقة الأحداث.

مشكلة الاستخبارات الحكومية أنها تعمل فقط على كشف أمور محددة. ليس من المجدي أن تكتشف موقع إحدى منظومات القذائف، إن كان ما تريد معرفته فعلاً هو إن كنت ستلتقي بشريك أحلامك في رحلة بحرية. في لحظات كهذه، يصبح البصّارون والمنجمون أكثر وثوقاً؛ إنهم متمرسون في تنبؤ قَدَرِكَ من خلال طريقتك في وضع حقيبتك على الأرض وكيفية عَقد ذراعيك.

إن كنت مهتماً بمستقبل كوكب الأرض أو بمسار الجُزيئات والذرات في الفضاء، فيمكن للعلماء أن يساعدوك أيضاً. يقول العالم الفيزيائي جون بيل إننا ما زلنا نحاول أن نفهم كيف يمكن لذرّة في جاكرتا متصلة بذرّة أخرى في تورونتو أن تحتوي على نفس المعلومات المرسَلة بسرعة تفوق سرعة الضوء.[١]

«التشابُك الكَمّي» هو اسم هذه الإشكالية التي تقترح وجود وسائل للمعرفة لا تزال تفوق حدود إدراكنا.

مع وجود هذا العدد الهائل من المعلومات المتوفرة والمندفعة نحونا من كل اتجاه، يقع عبء الاختيار والتفسير على عاتق كل واحدٍ منا. أي أننا أصبحنا اليوم جميعاً مؤرخين وحافظي أرشيف. نختار ونجمع قطعاً من المعلومات لنشكل قراءة للعالم، بينما نعلم في سرّنا أن هناك العديد من التأريخات المغايرة.

في كتاب «كتابة التاريخ» *(The Writing of History)*، ١٩٨٨، يركز المفكر اليسوعي ميشيل دو سيرتو على فكرة انحيازنا لاعتباراتنا الذاتية، وطنية كانت أم شخصية، خاتماً بقوله إن «الماضي هو مخيّلة الحاضر».[٢]

غير أن ما لم يشر إليه دو سيرتو هو نظريات المؤامرة التي تتغلغل في ثقافتنا. تَسارَع الجهد المبذول للإجابة عن سؤال «كيف تعرف ما الذي يجري حقاً؟» بعد اغتيال جون كينيدي، وقد تكون علامة من علامات الزمن الذي نعيشه اليوم أن تُتداول نظريات المؤامرة على هذا النحو الواسع.

بالإضافة إلى النظريات شبه الاعتيادية لنشاط وكالة المخابرات المركزية (CIA)، توجد براهين مفصلة تتعلق بمقتل بول مكارتني في العام ١٩٦٦، (والتي تم إخفاؤها بنجاح بفضل علاقات رينغو ستار ومعارفه في MI5 من جهاز الاستخبارات البريطاني). كما توجد إثباتات تتصل بعدة قضايا: تعاون البيت الأبيض مع مخلوقات فضائية وانخراط كيم كرداشيان في جمعية «المتنورون» (Illuminati) وأحداث ١١ أيلول / سبتمبر الملفّقة ورواد الفضاء المفقودون التابعون لبرنامج الفضاء الروسي واختفاء طائرة MH370 الماليزية والحضارة المخفية في باطن الكرة الأرضية ... إن ما تظهره نظريات المؤامرة جميعها، هو عدم تصديقنا العالم الواقعي كما هو مُعطى لنا، ورغبتنا الشديدة في معرفة ما الذي يجري حقاً.

إذن، دعونا نبدأ ...